

## لائحة التعليم الديني للمملكة العثمانية

هي إحدى اللوائح الإصلاحية الدينية منقولة من فصل (لوائح الإصلاح والتعليم الديني) من الجزء الثاني من تاريخ الأستاذ الامام الذي يطبع الآن وهي محروفاً  
﴿ اللائحة الأولى ﴾

كتبها في منفاه ببيروت ووقع عليها مع بعض وجهاء المسلمين وأرسلها الى سماحة شيخ الاسلام بالاستانة وذلك في ٢٦ جادى الثانية سنة ١٣٠٤ ومنها يعلم أنه لم يأل جهداً في النصح للدولة وانها لو عملت بارشاده وصدقت أمله ورجاءه الحسن فيها لأحيت الاسلام وجددت مجده وكانت بذلك ذات سيادة اسلامية حقيقية . وهذا نص ما كتبه رضي الله عنه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

لا اله الا الله وحده لا شريك له وبه الحول والقوة صلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه \* وبعد فقد رأينا وسرورنا كما سر المسلمون كافة بما نشر في جريدة الطريق من انه صدرت الارادة السنية الى حضرة صاحب السماحة مولانا شيخ الاسلام بأن نؤلف تحت رئاسته العلمية لجنة أعضاؤها حضرات صاحبي السماحة نوري أفندي أمين الفتوى وحسني أفندي رئيس مجلس المعارف وصاحب المطرفة عبد النافع أفندي وصاحب الفضيلة خوجه اسحاق أفندي وان يناط بهذه اللجنة اصلاح جداول الدروس في المكاتب الاسلامية (١) وتقويمها حتى تكون كافة بجميع الوسائل الصحيحة لتعليم أولاد المسلمين وتلقينهم ضروريات الدين الاسلامي وتربيتهم بالآداب والاخلاق الاسلامية على وفق الحق المطلوب . وان حضرة مولانا شيخ الاسلام وحضرات أعضاء اللجنة الكرام وان كانوا في غنى بأرائهم القوية ومعارفهم الواسعة عن أن يتقدم اليهم أمثالنا بالمشورة ولكنها الحجة للدين تبصنا على بسط ما يلوح بخواطرنا الى أولياء أمورنا مع الاعتراف بالعجز والاقرار

(١) لفظ المكتب يطلق في البلاد العثمانية على المدرسة وان كانت عالية

بالتصور عملاً بقول سيدنا على كرم الله وجهه : « من وأجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم ، وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلته ، وتقدمت في الدين فضيلته ، يفوق أن يمان على ما حمله الله من حقه ، ولا امرؤ وان صغرت النفوس ، واقتمتته العيون ، بدون أن يعين على ذلك أو يمان عليه »

إن من له قلب من أهل الدين الإسلامي يرى ان المحافظة على الدولة العثمانية العثمانية ثالثة المقائد بعد : لإيمان بالله ورسوله فانها وحدها المحافظة لسلطان الدين ، الكفاية ببقاء محوزة ، وليس للدين سلطان في سواها ، وانا والحمد لله على هذه العقيدة عليها نحيا وعليها نموت

إن للخلافة الإسلامية حصوناً وأسواراً وان أحكم أسوارها ما استحکم في قلوب المؤمنين من الثقة بها ، والحجبة للدفاع عنها ، ولا معتد للثقة ولا موقد للحمية في قلوب المسلمين الا ما أنام من قبل الدين ومن ظن ان اسم الوطن ومصالحة البلادوما شا كل ذلك من الألفاظ الطنانة يقوم مقام الدين في إنهاض الهمم وسوقها الى الفايات المطاوعة منها فقد ضل سواء السبيل

المسلمون قد تحيف الدهر نفوسهم ، وأبحت الأيام على مما قد ايمانهم ، ووهت عرى يقينهم ، بما غشيتهم من ظلمات الجهل بأصول دينهم ، وقد تبع الضعف فساد في الاخلاق ، وانكس في الطبايع ، وانحطاط في الانفس ، حتى أصبح الجمهور الأغلب منهم أشبه بالحيوانات الرتع غاية همهم أن يعيشوا الى منقطع أجيالهم يأكلون ويشربون ويتناسلون ويتنفسون في اللذات البيهيمية وسواء عليهم بعد ذلك أكانت العزة لله ورسوله وخليفته أوكانت العزة لسائدهم عليهم من غيرهم . وهؤلاء الهنديون وسكان ماروا والنهر وقبائل التركان واشياهم يمثلون هذه الرزية أظهر تمثيل ولم تكن هذه المحنة خاصة بقوم من المسلمين دون قوم ولكن عمت بها البلية حتى نخشي على قلوب كثير من العثمانيين أن يمسا هذا المرض الخبيث لولا أن تدركها قوة مولانا أمير المؤمنين خلد الله ظله .

هذا الضعف الديني قد نهج لشياطين الأجانب سبيل الدخول الى قلوب كثير من المسلمين واسمالة أهوائهم الى الاخذ بدساتيمهم والاصاخة الى مساوسهم

فخلبوا عقول عدد غير قليل ثم انبثت دعواتهم في أطراف البلاد الإسلامية حتى  
العثمانية لتضليل المسلمين فلا يرى بقمة من البقاع الا فيها مدرسة للامرىكانيين  
أو اليسوعيين أو العزارية أو الفرير أو لجمعية أخرى من الجمعيات الدينية الأوروبية  
والمسلمون لا يستنكفون من ارسال أولادهم الى تلك المدارس طمعا في تعليمهم  
بعض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الأوروبية التي  
يحبسونها ضرورة لسعادتهم في مستقبل حياتهم. ولم يختص هذا التساهل المحزن  
بالعامة والجهال بل تعدى الى المعروفين بالتعصب في دينهم بل لبعض ذوي  
المناصب الدينية الإسلامية. وأولئك الضمفاء أولاد المسلمين يدخلون الى تلك  
المدارس الأجنبية في سن السذاجة وغرارة الصبا والحدائة ولا يسمعون الا ما  
يناقض عقائد الدين الإسلامي ولا يرون الا ما يخالف أحكام الشرع المحمدي  
بل لا يطرق أسماعهم الا ما يزرى على دينهم وعقائد آبائهم ويميب عليهم التمسك  
بعمى الطاعة لأولياءهم ويقع ذلك من نفوسهم موقع القبول لانه من أساندهم  
القوام على تربيتهم ياذن آبائهم ولا نطيل القول فيما يلقونه من العقائد الفاسدة  
والآراء الباطلة، فذلك أمر أعرف من أن يبين. فلا نكتفي سنو تعليمهم الا  
وقد خوت قلوبهم من كل عقد إسلامي وأصبحوا كفارا تحت حجاب اسم  
الإسلام ولا يقف الأمر عند ذلك بل تعقد قلوبهم على محبة الأجانب وتجنّب  
أهوائهم الى مجاراتهم ويكونون طوعا لهم فيما يريدونه منهم ثم ينفثون ما تدرست  
به نفوسهم بين العامة بالقول والعمل فيصبرون بذلك ويلا على الأمة، ورزية على  
الدولة، نمرذ بالله. ولو فقه المسلمون لبذلوا من أموالهم ما يجيدون به تربية أبنائهم  
مع استبقائهم مسلمين في العقيدة، عثمانيين في النزعة، هذا ما جلبه الجهل على  
الأمة الإسلامية وان غائلته لمن أشد العوائل وقد كنا نخاف أن تحمل بوائها لو لم  
تدفعها عن يمة مولانا أمير المؤمنين

أما المكاتب والمدارس الإسلامية فقد كانت إما خالية من التعليم الديني  
جملة وأما مشتملة على شيء قليل منه لا يتجاوز أحكام العبادات على وجه مختصر  
وطريق صوري لا يمدو حفظ العبارات مع الجهل بالمدلولات ولهذا رأينا كثيرا

من قرأ العلوم في المدارس العسكرية وغيرها خلوا من الدين وجهالا بهتائه  
منكبين على الشهوات وسفساف المذات لا يخشون الله في سر ولا جهر ولا يراعون  
له حكماً في خير ولا شر وانحط بهم ذلك الى الكذب في الكسب والانصباب على  
طلب التوسعة في العيش لا يلاحظون فيه حلالاً أو حراماً ولا طيباً أو خبيثاً فاذا  
دعوا الى الدفاع عن الملة والدولة ركنوا الى الراحة ومالوا الى الحياة وظلوا  
لأنفسهم الخلاص بأية وسيلة

وبالجملة فان ضعف العقيدة والجهل بالدين قد شمل المسلمين على اختلاف  
طبقاتهم الا من عصم الله وهم قليلون ولهذا تراهم يفرون من الخدمة العسكرية  
ويطلبون للتخلص منها أية حيلة وهي من أهم الفروض الدينية المطلوبة منهم ويرى  
غيرهم من الامم يتسابقون الى الانضمام في سلك جنديتهم مع أنها غير معروفة في  
دينهم بل مضادة لتعريب نصوصه ويرى المسلمين يتخلون بأموالهم اذا دعت  
الاحوال الى مساعدة الدولة والاتفاق على مصالح الامة ولا يتخلون بذلك على  
شهوراتهم بعكس ما ترى في سائر الامم . هكذا انطلقا من المسلمين مصباح العقل فلا  
يعرفون لحم رابطة يرتبطون بها ولا يهتدون الى جامعة يلجأون اليها وتقطع ما بينهم  
( تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ) ولا حول ولا قوة الا بالله  
هذه أحوال نذكر منها القليل والله يعلم أن الواقع منها أكثر من الكثير  
نذكرها مقرونة بأنفاس الأسف وصداء الحزن لما نعلم أن الاجانب قد أرسلوا  
ذئابهم يتخطفون شادتهم وأغلبهم شاذة ويفترسون ناداتهم وجمهورهم نادة ومسارة  
الفساد فيهم مشهورة يحس بازديادها كل سنة عما قبلها وان عواقب ذلك لتخشى  
ولا حول ولا قوة الا بالله

وإذا استقر بنا أحوال المسلمين فلنبحث عن أسباب هذا الخذلان لانجد الا  
سبباً واحداً وهو القصور في التعليم الديني إما بإهمال جملة كما هو في بعض البلاد وأما  
بالسلوك اليه من غير طريقه القويمة كما في بعض آخر أما الذين أهمل فيهم التعليم  
الديني فجمهور الامامة في كل ناحية لم يبق عندهم من الدين الا أسماء يذكرونها  
ولا يمشرونها فان كانت لهم عقائد فهي بقايا من عقائد الجبرية والمرجئة من

نحو أنه لا اختيار للعبد في ما يفعله وإنما هو مجبور في ما يصدر منه جبراً محضاً  
فلهذا لا يؤخذ على ترك الفرائض ولا اجترام السيئات ومثل أن رحمة الله لا تدع  
ذنباً حتى تشمله بالفيران قطعاً لا احتمال معه للعقاب فليفضل الإنسان ما يفعل  
من الموبقات وليهمل ما يهمل من المفروضات فلا عقاب عليه وما شاكل ذلك  
بما أدى الى هدم أركان الدين من نفوسهم واستل الحمية من قلوبهم ولا منشأ  
له الا عدم تعليمهم عقائد دينهم وغفلتهم عما أودع في كتاب الله وسنة رسوله  
وأما الذين أصابو شيئاً من الصلح الديني فمنهم من كان همهم علم أحكام الطهارة  
والنجاسة وفرائض الصلاة والصيام وظنوا أن الدين منحصر في ذلك ومتى أدوا  
هاتين العبادتين على ما نص في كتب الفقه فقد أقاموا الدين وإن هدموا كل ركن  
سواهما وبشركون مع الأولين في تلك العقائد الفاسدة . ومنهم من زاد على ذلك  
علم الفروع في أبواب من المعاملات متخذاً ذلك آلة للكسب وصنعة من الصنائع  
العادية وأولئك الأغلب من طلاب الإفتاء والقضاء ووظائف التدريس وما شاكل  
ذلك لا ينظرون من الدين الا من وجه ما يجلب اليهم المعيشة فإن مال بهم طلب  
المعيشة الى مخالفة لم يبالوا بذلك معتقدين على مثل عقائد الجهالة مما قدمنا وهو لا  
لا يتخضع مفسد أعمالهم بذواتهم ولكنها تتعدى الى أخلاق العامة وأطوارهم  
فهذا القسم أعظم الأقسام خطراً وأشد هاضراً في العامة والخاصة وما أفراده بقليل  
نعم لا ينكر أن الخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه يوجد في هذه الطبقة  
رجال وقفوا عند ما حد الكتاب واستمسكوا في الدين بالعروة الوثقى وأضرم الدين  
في قلوبهم نار الحمية، واستغزوا اليقين همهم للنصرة الملية، الا أنهم قليل والموجود منهم  
قد يكون خامل الذكر، أو قاصر الاقتدار عما تطالبه به الشريعة في ارشاد الأمة،  
وبالجملة فوجود أمثالهم لم يكن كافياً في دفع الشرور الوافدة من غيرهم ولولا  
مالمف الله بهذه الأمة بسر توجه مولانا الخليفة الأعظم لعجل لها من الوبال  
ما استنحت له سوء أعمالها ونبتها أحكام الله وراء ظهرها وانحرف قلوبها عن مقاصده  
ولاة أمورها الصادقين . وقد نظر مولانا أعزه الله ونصره الى عظم هذا الأمر  
وهول عواقبه فأصدر ارادته السامية بالنظر في وجوه تداركه . فبالنعمه العظمي

وبالدرجة الكبرى، هشت لها قلوب المؤمنين، وبشت لورود بشرها ووجه الصادقين  
وارتفعت أصوات التضرع الى الله بتأييد شوكة مولانا أمير المؤمنين، وتأيد  
دولته، واعلاء كلمته،

وإنه بعد التأمل في الأحوال المتقدمة وهي ظاهرة مشهورة والوقوف على  
سببها الذي أضرنا اليه وهو غير خفي على مدارك مولانا شيخ الأمام وأعضاء  
الجنة الكرام نعلم أن أمير المؤمنين لم يرد من اصلاح الجداول أن يدرج في فنون  
المدارس الاسلامية بمضاهي الكتب الفقهية مع بقاء التعليم على طرقة اليهودية في المساجد  
وفي دروس بعض العلماء فان العلوم العملية اذا لم تبين على عقائد صحيحة وایمان  
صادق لا تلبث أن تضمحل ولئن ثبتت فأما تسوق الى أعمال خالية عن النيات  
وخاوية من سر الإخلاص فتكون أشبه شيء بالباطلة في عدم ترتب الأثر المطلوب  
عليها كما قدمناه فلا بد أن يكون مولانا الخليفة أعز الله نصره قد أراد أن يوجه  
التنظر الى فن تقوى به العقيدة ويستحكم سلطانها على العقول ثم الى تربية تذكريا  
ثم الى النفس من ذلك الفن فيكون التذكير مستحفظا لما يصل اليها منه ثم الى فن  
الفقه الباطني وهو ما تعرف به أحوال النفس وأخلاقها والمهلك منها كالكذب والحياة  
والنسيمة والحسد والجبن وسائر الرذائل والمنجي كالصدق والأمانة والرضى والشجاعة  
وسائر الفضائل ويضم الى ذلك باقي علم الحلال والحرام على ما هو مذکور في الكتاب  
والسنة ومتفق عليه بين أئمة الملة الاسلامية . ثم الى تربية تحفظ ذلك وتروض النفس  
على العمل بما تعلم منه . ثم يكون التعليم في هذه الفنون المذكورة والتربية على وفق  
قواعدها مستندين الى الشرع الشريف بحيث تذكر ما أخذها من القرآن والسنة  
الصحيحة وما صح أمره من أقوال الصحابة وعلماء السلف الأول ومن هذا حظهم  
كحجة الاسلام الفزلي وأمثاله فالقصد بالذات علمان وهما أصلان ومجموعهما ركن  
من الإصلاح والركن الآخر التربية بما يهديان اليه حتى تصير العلوم ملكة راسخة  
تصدر عنها الأفعال بلا تعمل ثم يتبها فن آخر يقوى على الفرض منها وهو فن  
التاريخ الديني خصوصا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والخلفاء  
الراشدين ومن تأثرهم من الخلفاء العثمانيين

هذا اجمال ما اليه الحاجة منه العلوم الدينية الا أن كل واحد منها مقول على المبدأ والتوسط والنهاية وكل منها غذاء لطبقة من الناس لا اقوام لحياتها الدينية والسياسية الا به

فلهذا تقسم طبقات الناس الى ثلاث وتعين لكل واحدة منها حدا من هذه الفنون فالطبقة الاولى العامة من أهل الصناعة والتجارة والزراعة ومن يتبعهم . والثانية طبقة الساسة من يتعاطى العمل للدولة في تديير أمر الرعية وحمايتها من ضباط العسكرية وأعضاء المحاكم ورؤسائها ومن يتعلق بهم وأموري الادارة على اختلاف مراتبهم . والطبقة الثالثة طبقة العلماء من أهل الارشاد والتربية ولا نريد بهذا التقسيم منع الآحاد من كل طبقة أن يطلبوا الكمال الذي خص به من فوقهم ولكن الغرض تحديد ما يلزم لكل واحدة ثم ان الله لا يضيع أجر العاملين

### التعليم الديني الابتدائي لطبقة العامة المسلمين

الطبقة الأولى هم أولاد المسلمين الذين يوقف بهم عند مبادي الكتابة والقراءة وشيء من الحساب يطعون ذلك الى درجة محدودة يتفهمون بها في مامالاتهم ثم ينصرفون الى أعمالهم الصناعية والتجارية والزراعية وما يشبهها وأولئك كتلامذة المكاتب الرشدية والمسكرية والملكية والمكاتب الخيرية الاهلية فهو لاء بهم الدولة منهم أن يكونوا في قياد الطاعة ان جاذبتهم أرواحهم سلوها وان استقرضتهم أموالهم بذلوها محتمسين ذلك في سبيل الله غير شائخين ولا متكرهين ثم لا يكون لوسوسة أجنبي منفذ الى قلوبهم فيجب أن يودع في أفئدتهم لبدائيات تعليمهم مواقد الحمية ومعاصم الانفة المليية كما كان ذلك في نشأة الاسلام وبداءة الخلافة العثمانية وكما هو معروف الآن عند الامم الاورباوية مما تعلموه من أسلافنا ولا تدرك هذه الغاية من أبنائنا الا بعقيدة صادقة واستقامة ثابتة ومحبة خالصة ولهذا ينبغي أن توضع لهم كتب التعليم الديني على الوجه الآتي

أولا كتاب مختصر في العقائد الاسلامية المثفق عليها عند أهل السنة بلا تعرض للخلاف بين الطوائف الاسلامية مطلقاً مع الاستدلال عليها بالادلة الاتقاعية القرية المنال والاستشهاد بالآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة ومع

الالمام بشيء من الخلاف بيننا وبين النصارى وبيان شبههم في معتقداتهم لتكون الخواطر في استمداد لدفع ما يرد عليهما من وساوس دعاة الانجيل المنبشين في كل قطر ثانيا - كتاب مختصر في الحلال والحرام من الاعمال وبيان الاخلاق الخبيثة والصفات الطيبة والتنبيه على البدع المستحدثة التي لم يرد في الكتاب فرضها ولا في السنة أثرها وظهر في العامة ضررها مستدلا فيه بآيات الكتاب واحاديث السنة مؤيدا بأعمال الصديقين من سلف الامة ولا بد أن يكون مدار الكتاب تقرير ان الانسان انما خلق ليكون عبدا لله فكل شيء دون الله ورسوله مبذول ثالثا - كتاب في التاريخ مختصر يحتوي على مجمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه من وجه ما يتعلق بالاخلاق الكريمة والاعمال العظيمة وفداء الدين بالارواح والاموال مع الالمام بالسبب في تسلط الاسلام على الامم في وقت قصير مع قلة أهله وكثرة معارضيهم وقوتهم وإثبات ان ذلك يسر الصدق في المكافحة والانحاد في المجاهدة ثم يتبع ذلك بتاريخ الخلفاء العثمانيين كل ذلك على وجه مختصر سهل التناول

ثم هذه الكتب تكون للعثمانيين من العرب عريية ومن الترك تركية ومن غيرهم بلسانهم ان وجدوا وما يذكر فيها من آية وحديث يفسر باللغة الموضوعه فيها

﴿ التعليم الديني الوسيط للطبقة المرشحة للوظائف ﴾

﴿ الطبقة الثانية ﴾ هم أبناء المسلمين الذين ينتظمون في المدارس السلطانية والشرعية والملكية والمسكرية والطبية وما ينلونها والذي بهم الدولة منهم أن يكونوا أمناء لها حفاظا لما استحفظوا عليه من شؤونها - الجندي منهم حامل لنفسه على ذباب سيفه حتى ينتصر أو يموت ، والمحكم منهم بفصل الخصامات قابض على ميزان العدالة ناظر الى كفت النظام يرجح مارجح فيه ويستقط ما سقط منه فهو يتحرى الحق ويحكم به أو يموت ، والمولى منهم امرأ في ادارة أمور الرعية آخذ لتتظار الخلق والسرابة ليستبين ما يخفى من مصانع وما يندق من مسالك أهواؤها لضبط الاعمال ويلزم الحدود ويوفر وسائل العمران فهو يقيم للدولة ما قامت به مصالح رعاياها الا أن يحول دون ذلك الموت فيموت ، فهذه الطبقة بعد أن تشارك الطبقة السابقة

في مبدأ التعليم الديني يراعى ما تقدم كتب أعلى من تلك الفنون نفسها فتوضع لهم في المدارس العالية والاعدادية على الوجه الآتي  
أولاً - كتاب يكون مقدمة العلوم يحتوي على المهم في فن المنطق وأصول

النظر وشي من آداب الجدل

ثانياً - كتاب في العقائد يوضح على قواعد البرهان العقلي والدليل القطعي مع التزام التوسط وإتيان الطريق الأقرب ومجانبة الخلاف بين المذاهب الاسلامية أيضاً الا أن يتوسم فيها بيننا وبين النصارى لا يوضح ما تستلزمه عقائدهم بوجه أبلي وأوضح وتفصيل شيء من فوائد العقائد الاسلامية في تقويم المعيشة المدنية فضلاً عن غاية السعادة الآخروية

ثالثاً - كتاب يفصل فيه الحلال والحرام وأبواب الفضائل والردائل ببيان أكل مما في البداية وتوضيح لامباب الاخلاق وعلاها وآثارها على وجه يقع به العقل وتطمئن به النفس ثم بيان الحكم لبعض الاحكام الدينية وفوائدها في الحياة البشرية مع الاستناد في هذا وفي سابقه الى نصوص الدين وسير السلف الصالح كما تقدم ويكون مدار الكلام في الكتابين على ما يضمن الحياة في القلوب ويرفع النفوس الى مقام لا تطالب فيه الامالي الأمور

رابعاً - كتاب تاريخ ديني يحتوي على تفصيل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والفتوحات الاسلامية العظيمة في القرون المختلفة وما جاء به الخلفاء المؤمنون من ذلك والاتيان على كل هذا من وجه ديني يخص فان ذكرت فيه الوجوه السياسية كانت تابعة لفرض الديني ويبين في هذا الكتاب ما كانت تبسط اليه سيادة الاسلام من أقطار الارض ويردع فيه من العبارات ما يحرك القلوب الى طلب المنقود فضلاً عن حفظ الموجود ثم تبسط فيه أسباب التقدم الاسلامي بأدق مما كان في السابق

وأبناء هذه الطبقة كالسابقين من اخوانهم يكفهم أن يتعلموا هذه الكتب بالسنة آباؤهم وما يذكر من النصوص العربية يفسر لغير العرب كما سبق ولا يلزم لهم ان يتعلموا اللغة العربية الا ما يفرض عليهم في العبادات وما

يتلونه من ذلك فلا بد من إيقافهم على حقيقة معناه بالتفسير حتى يكون كل قائل عارفاً بما يدلول ما ينطق به ليترك الذكراً في الفكر كما هو مطلوب الشارع وقد يندرج في هذه الطبقة بعض من يناط بهم أمر التعليم في المدارس والكليات الابتدائية إذا وجدت فيهم الأوصاف التي توهمهم لذلك من الحمية والعمية ومحبة الدولة والوقوف عند أحكام الشرع الشريف مع التبصر في المنوعات والمطلوبات وتمييز ما هو من الدين عما ليس منه وإن خالف أو هام العامة

### التعليم الديني العالي لطبقة الطميين والمرشدين

(الطبقة الثالثة) هم أبناء المسلمين الذين عقلوا ما تقدم من كتب الطبقتين السابقتين وكشف الامتحان امتيازهم في فهمها وتعلمهم بالصفات المقصودة بوضعها فانتخبوا لذلك على أن يرقى بهم الدرجة العليا من العلم والعمل حتى يكونوا عرفاء الأمة وهداة الأمة فيناط بهم التعليم الديني في المدارس العالية والاعدادية بل والابتدائية إذا كثر عددهم وبهم يناط التعليم لأهل طبقتهم فهؤلاء لا يكفي لأعضائهم الغاية المطلوبة للدولة فهم دراسة ثلاثة أو أربعة من الكتب الدينية بل يجب أن يزداد لهم على ما تقدم كتب كثيرة يزدادون بدراستها بصيرة في دينهم ويستوسعون بها القدرة في البيان لإفادة غيرهم فمن المعلوم أنه لا يكفي المرشد ما يكفي للمسترشد ولأجل هذا تقتصر في بيان ما يحتاجون إليه على ذكر الفنون دون التعرض لأعيان الكتب الأقبالا فتتكن الفنون على الوجه الآتي إن شاء الله

أولاً - فن تفسير القرآن وهو أهم ما يحتاج إليه ليقرا القرآن تفهما ونطلباً لما أودع الله فيه من الأسرار والحكمة فالقرآن سر نجاح المسلمين ولا حيلة في تلافي أسرارهم إلا إرجاعهم إليه والم تفرغ صحته أحماق قلوبهم ونزول هزته رواسي طباعهم فالأمل مقطوع من هبوبهم من نومهم ولا بد أن يؤخذ القرآن من أقرب وجوهه على ما أرشد إليه أساليب اللغة العربية ليستجاب لدعوته كما استجاب لها رعاة الغنم وساقاة الإبل عن أنزل القرآن بلنهم والقرآن قريب لطالبيه متى كان عارفاً باللغة العربية ومذايب العرب في الكلام وتاريخهم وعوائدهم أيام الوحي فعلم ذلك من أجود الوسائل لفهمه فإن احتيج إلى وسيلة أخرى فأولها مطالعة كتب التفسير

الذاهبة مذهب تطبيق مفاهيم الكتاب على المعروف عند العرب ك تفسير الكشاف  
وتفسير القمي النيسابوري ومن أخذت ريقهما

ثانياً - فنون اللغة العربية من نحو وصرف وبيان و تاريخ جاهلي وما  
يتبع ذلك ليتمكن بها من فهم القرآن والحديث

ثالثاً - فن الحديث على شرط أن يؤخذ مفسراً للقرآن مبيناً له مع اطراح  
ما يخالف نضه من الأحاديث الضعيفة والاجتهاد لا يرجع للأحاديث الصحيحة  
إليه ان كان ظاهرها يورم المخالفة

رابعاً - فن الأخلاق والآداب الدينية بتفصيل تام وإحاطة كاملة على نحو  
مسلك الإمام الغزالي في الإحياء مع تطبيق تلك القواعد الأدبية الشرعية على  
الأصول المشهورة

خامساً - فن أصول الفقه من وجه ما يمكن من صحة الاستدلال بالنصوص  
الشرعية ويوقف على كليات الشريعة ليستأنس بها في فهم الأحكام ونرى أفضل  
كتاب يفيد لهذا المقصد كتاب الموافقات للشيخ الشاطبي المطبوع في تونس  
سادساً - فن التاريخ القديم والحديث ويدخل في ذلك سيرة النبي صلى الله  
عليه وسلم بالتفصيل وسير أصحابه وتاريخ الانقلابات التي عرضت في الممالك  
الإسلامية الأولى وتاريخ الدولة العثمانية وما كان منها في أمهات الإسلام من  
كبره التي كباها في القرون الوسطى بعد الحروب الصليبية مع التوفيق في أسباب  
ما وصلت اليه الأمة في هذه الأيام ليتبين أنه لا سبب لذلك الا الجهل بالدين والأبحراف  
عن أحكامه وانشقاق عصا الأمة بالخلاف الذي لا طائل له

سابعاً - فن الإقناع والخطابة وأصول الجدل لفرض التمكن من تقرير المعاني في  
الأذهان وثبتت العقائد في النفوس وازامها الأخذ بمكارم الأخلاق وفضائل  
الأعمال والارتفاع بها عن دنابا الصفات وسفاسف الأمور

ثامناً - عن الكلام والنظر في العقائد واختلاف المذاهب والبحث في أدلة كل  
لا لتحصيل العقيدة ولكن لزيادة البسطة في الفكر والسعة في الرأي ولا بأس بقراءة  
بعض الكتب الحكيمية الإسلامية لتكميل الإحاطة بوجوه المسائل العقلية

فهذا جملة ما يلزم لتحلية نفوس هذه الطبقة بفضيلي العلم والعمل ولم تعرض  
لفن الفقه في العبادات والمعاملات لأنه في العبادات سهل التناول من أفواه الطلبة  
وفي المعاملات يشترك في طلبه المسلم والذمي والأجنبي إذ يضطر إليه كل ساكن في  
الممالك العثمانية ليعرف كيف يطالب بحقه أو يدافع عنه أما سائر العلوم من اللغات  
والرياضيات والطبيبات والنظامات وكل ما حددته نظارة المعارف العثمانية فهي  
على رسمها كل مدرسة تتبع قانونها لا يضر شيء منها بالدين بل الدين يقويها  
كما أنها تقويه

هذه الطبقة الأخيرة ينبغي أن تكون تحت نظر مولانا شيخ الاسلام خاصة  
وتكون ادارتها تحت عنايته في سنك مخصوص . و يدعى لها بالمدرسين المتبصرين  
من أي أرض يوجدون بها وينتخب طلبة العلوم لها من أقوى الناس ادراكا واذكاهم  
أخلاقا ويراعى في الانتخاب كمال الدقة في الامتحان . ثم لا يعطى الطالب منها  
شهادة بلاوعة الغاية من علومها وتأهله للتدريس الا بعد الامتحان الشديد في  
العلوم المتقدمة والبحث الكامل عن سيرته في أحواله وأعماله والتحقق من تقدمه  
في الفضيلتين العلم والعمل

التدريس في جميع تلك الدرجات إنما يقصد منه اشراب القلوب حب الدين  
وتوقيره وجملة الغاية المطالبة من كل عمل حتى تكون الملة وجهة واحدة يقصدونها  
بأعمالهم فتشتم قواها الروحية والمالية لخدمة الدين وتأييد حافظه الاعظم المدافع عن  
بيئته حضرة مولانا أمير المؤمنين فتكون الملة ملة مهيبة يخشى بأسمها وتخاف بوائق  
غضبها ويؤول بالدولة الى علو الكلمة في سياستها الخارجية بعدما عادت بركانه على  
المسلمين في راحتهم الدخيلة وبالجملة فالقصد من اصلاح الجدول إنما هو الى إحياء  
الملة وقد كانت كادت تموت والياد بالله

ولهذا يجب أن يكون التدريس في أغلب العلوم المتقدمة خصوصا في الاخلاق  
والآداب أشبه شيء بالخطابة ترسل في المعاني الى القلوب لتهزها وتستفزها من  
مقار الخول والفضلة الى مقامات التنبه والبصيرة ثم يتبع الدرس رعاية لأحوال  
المعلمين وأعمالهم ومواخذة لهم اذا خالفوا حكما من أحكام ما تعلموه ، أو قصرُوا

في عمل من لوائح ما اعتقدوه ، وتذكيرهم في ذلك يؤثر في قلوبهم ويحرك الساكن من خواطرهم . ومن نعمة يجب أن يكون القائمون بالتعليم على أكل الصفات العقلية وأفضل الاعمال النفسية يراعى فيهم ذلك بقدر الامكان

وان شئنا بوعده الله في قوله ( ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ) وقوله ( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ) وقوله ( ان الله مع الذين اتقوا ) وقوله ( ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ) واعتبارنا بقوله ( ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ) وتغيرتنا بأحوال الامم الاوربية والاسباب التي وصلت بهم الى ما نراهم عليه في القوة والدرابة كل ذلك يرجب لنا اليقين القطعي بأن اصلاح التعليم الديني على الوجه المتقدم يكون نشأة حياة جديدة تسري في جميع ارواح المسلمين العثمانيين بل هو الذي سيفضي في أسرع وقت الى توحيد كلمة الأسلام وجمع أطرافه تحت كنف الدولة العلية العثمانية رغماً عن أنف كل مخاصم ومنه رأي هو لا العاجزين ان لا حافظ للدولة ولا وافي للملة سواء وأن جميع ما صرف في سبيله من المتاعب والتفقات فهو أعود بالفائدة مما يصرف لأي عمل سياسي خارجي أو داخلي فانه لا سياسة الا بالقوة ولا قوة الا بالنجدة ولا نجدة الا بالوحدة ولا وحدة الا بالطاعة ولا حقيقة للطاعة الا بالمقيدة الحسنة ولا عقيدة الا بحياة الدين ولا حياة للدين الا بالتعليم حتى يجري على أحكام التجربة وليس ذلك الا ما عرضناه وان جمهور المسلمين ممن يعرف أفكارهم في الاقطار العثمانية بل وفي غيرها لا يرون دواء لدائهم الا رجوعهم لأصول دينهم في أخلاقهم وأعمالهم وان يكونوا يجهلون الوسائل الى ذلك فالحمد لله الذي وفق الدولة حرسها الله لتقريب مرغوبهم وتحقيق أمانهم هذا ما نرفعه الى مقام شيخ الاسلام فان صادف قبولا فذلك ما نؤمل ويؤمل المسلمون وان كانت الأخرى فقد أديننا ما حضر لنا على حسب عجزنا ونسأل الله ان يوفق مولانا أمير المؤمنين وأركان دولته الى تقرير ما هو أعلى من أفكارنا وأنجح منها في اصلاحنا وإنا في جميع الاحوال نوالي الدعوات الصالحات بنصر مولانا الخليفة الاعظم وتأييده وبقائه ظل الله ورحمة لهيبه آمين

### كلام في الدعاة والمرشدين

وبقي في موضوع الإصلاح الديني كلام هو كالتسليم فتقدم لمرضه وهو أن المكاتب والمدارس المنشأة في الممالك العثمانية إن لم تكن قليلة بالنسبة للرعايا العثمانيين فالداخل إليها قليل بالنسبة إلى عدد الأهالي فإن الجمهور الأعظم من سكان القرى والأعراب المتقلين في أكناف المملكة وأشباههم لا يرون ضرورة لتعليم أولادهم ولا يقدرون التربية الحسنة حتى قدرها فإصلاح جذور التعليم في المدارس لا تصيبهم فائدته بل يحرمون منها كما يحرم الكبار من العامة الذين جاوزوا سن التعليم وهو لاء وأولئك من جسم الدولة ولهم وظائف من الأعمال يطالبون بأدائها والحال فيهم من الجهل ما وصفنا والمضرة اللاحقة بالدولة من جهلهم هي كما يناقش الواجب الالتفات إليهم بإصلاح أرواحهم لتستفيد الدولة منهم فائدتها من سواهم

وذلك لا يكون إلا بترتيب دعوة تبيهم إلى الواجب عليهم من تعليم أبنائهم وتحميلهم على السعي في تربيهم وتهذيبهم ثم نخذهم عن أطباعهم وتلين من قسوة قلوبهم ثم أنهم لورغبوا في التعليم وكلفت الدولة بإنشاء مكاتب لتربية أبنائهم والاتفاق عليها لزادت عليها النفقات مع كثرة ما يلزمها من المصاريف في إدارة شؤون المملكة فلا بد أن يكون من وظائف الدعاة تحريض الموسرين والاعنياء أن يبذلوا من فضلات أموالهم ما ينفق على إنشاء المكاتب وعمل التعليم فيها ويؤلفوا لذلك لجانا وجماعات في كل بلد وبقعة لتديره والقيام عليه تحت مراقبة من يقوم بالدعوة فيهم ثم يكون من وظائف الدعاة إلقاء الوعظ العام في المساجد والجامع ليذكروا الناس مانسوا من دينهم ويعرفوهم ما جهلوا منه ويشربوا قلوبهم حب الدولة ويقرروا في نفوسهم بلطف البيان أن أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين أولى بهم من أنفسهم وعلى ذلك يجب أن يكون لأهل الدين دعاة مرشدون ينبشون بين العامة ليتفهم على أمور دينهم ويبادروهم بالدواء قبل استفحال الداء وهو لاء المرشدون يجب أن يكونوا على الأوصاف التي شرطناها في أهل الطبقة الثالثة علما وعملا وبالجملة فلا بد أن يكونوا من أطول الناس باعانا في انفنون لادنية الشرعية وأوسعهم علما بمال الأخلاق وأمراض النفوس وأقدرهم على

الناس منافذ لقلوب للدخول إليها بما يصلحها ثم يكونوا أقوم الناس سيرة لا يخالف عملهم قولهم فيكونون مثالا للناس يحتذونه وقدوة لهم يتبعونها ثم لا بد أن يكون في كل قوم بالمتهم بل يجب أن يكونوا ممتازين بنصاحة اللسان وجودة المنطق بين القوم الذين يرشدونهم ليقبوا عليهم بالإسراع

ومن هذا نازم المبادرة إلى إصلاح الخطبة في مساجد الجمعة وتوليها قوما يحسنونها ويدرجون فيها ما يمس أحوال العامة في تصرفاتهم المشهودة ويبيون لهم مضار الفساد ويهدونهم إلى سبل الرشاد كما هو مقصود الشارع من فرض الخطبة في الجمعة وهذا باب عظيم من الإصلاح إذا وجهت العناية إليه رجونا منه النفع الكثير والخير العزيز .

فإن سأل ابن الكتب التي توضع للطبقة الأولى والثانية من المتعلمين ؟ وأين الرجال الذين يصلحون للتعليم والتربية وأين الذين يقومون بتربية الطبقة الثالثة وتهذيبها ؟ وأين الذين يمكن للدولة أن تعتمد عليهم في إرشاد العامة وتبشيم دعاة ؟ ثم من أين توجد مصاريف هذه الأعمال ثم كيف شرطت في أهل الطبقة الثالثة أن يحصلوا تلك العلوم مع الأفعال فيها والوصول إلى حقائقها وذلك يستدعي زمناً طويلاً فالجواب: أما وضع الكتب للطبقتين فسهل جداً لو كلف أحدنا بوضعها لتيسر له ذلك بمهونة الله عز وجل في أقرب وقت يمكن مني صدر الأمر بذلك تحت نظر مولانا شيخ الإسلام . وأما الرجال الذين يعلمون في الطبقتين الأوليين وفي الثالثة أيضاً والذين يلبقون لوظيفة الإرشاد فهم أن تعمس وجودهم في بلد واحد أو مدينة واحدة فالبحث عنهم في أطراف بلاد المسلمين يهدي إلى الكفاية منهم لبداية المشروع مني صدقت التوبة وخلصت الوجهة لله وللحق في البحث والاختيار وأمثال أولئك الرجال أهل الدين والاستقامة قلما يقفون بأبواب الأمراء أو يطلبون المناصب إلا إذا رأوا في ذلك مصلحة لدينهم فهو لا يعرفون إلا بعد التفتيش عليهم ثم إذا حسنت البداية وتبعها الاجتهاد مع الاخلاص في العمل وصل الأمر بحقوق الله إلى الكمال المطلوب وأما طول الزمان في التعليم على أهل الطبقة الثالثة فقد علمنا أن الروساء

الروحانيين من الطائفة النصرانية يقيمون في تعلم لاهوتهم خاصة خمس عشرة سنة بل وعشرين زيادة على الزمن الذي صرفوه في سائر العلوم ومن المقرر عندنا أن ما يشتغلون به هو الباطل فليس من المنكر ولا الغريب أن يطول على طلاب الحق زمن البحث للاحاطة بأطرافه حتى يتمكنوا من نصره وتأييده

وأما المصاريف فإنه متى وجد ولو قليل من الرجال العارفين الصادقين (وهم موجودون في زوايا الخفاء يظهرهم البحث الصحيح والطلب الدقيق) وقاموا في الناس بالنصيحة من قبل الدولة وظهر من حسن تصرفهم واستقامتهم ما أكد ثقة الناس بهم فلا تقصر أيديهم عن تخليص الأموال الوافرة من أيدي المترفين من أهالي المملكة العثمانية لتصرف في هذا السبيل وأقل تجربة تحقق هذا الذي نقوله متى فوض الأمر لأهله فإنا لم نأت بشيء من الكلام في هذا الباب إلا عن خبرة بأحوال أخواننا المسلمين وطول ممارسته لأخلاقهم والصادقون في خدمة الدين لا يدركهم اليأس من إصلاحه فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

هذا مجمل ما حضر لخواطر العاجزين وفي التفاصيل ما يطول به أقول أضعاقا مضاعفة فان دعينا إليه لم نتأخر عن بثه والله الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسينا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

جمادى الثانية سنة ١٣٠٤

يقول جامع الكتاب: هذه نصيحة الرجل الذي كان يشي به أهل الفساد في مصر للسلطان بأنه يفيض الدولة فليأتنا أحد يمثل نصيحة للدولة في هذه اللائحة وفي اللائحة التالية لها.

وازيد في المنار أن ما حمل المرحوم على هذه الكتابة يحدث مثله كثيرا فما زلنا منذ عقلنا نقرأ في الجرائد العثمانية أنباء صدور الارادات السلطانية بالعبادة بتعليم الدين، وبت الارشاد في نفوس المسلمين، فيستبشر المبرورون ثم يمضي الزمان ولا تزيد الدولة إلا اهمالا للدين في مدارسها فيعلم العاقل السر في الاخبار بذلك الارادات السنية وإذا أراد الله أمرا هيا أسبابه فافهم